ولدت في حي شبرا بالقاهرة

سميحة أيوب سيدة المسرح العربي بلا منازع

احبت المسرح وتشبثت بخشبته حتى اصبحت جزءا منها وزرعت كل احلامها وطموحاتها في تلك الخشبة السحرية. جعلت حياتها الشخصية في الكواليس وتفتحت زهور صباها على حبات العرق التي روت خشبة المسرح في رحلة عطاء امتدت لاكثر من اربعين عاما، لذلك استطاعت الفنانة القديرة سميحة ايوب عثمان ان تنتزع وبجدارة لقب سيدة المسرح العربي بعد ان اثرت الحركة المسرحية بأروع الادوار البطولية في مختلف المسرحيات التراجيدية والشعرية والاجتماعية والتاريخية.عملت في السينما وقدمت عددا من الافلام، لكنها لم تحبها لانها لا ترى الجمهور بينما على خشبة المسرح يصبح اللقاء حيا بينها وبين جمهورها وتتلقى ردود الافعال في اللحظة نفسها التي تمثل فيها، عبر تاريخ طويل من الفن الجميل قدمت عشرات الادوار، لم تسع وراء المادة يوما بل كان الفن هو كل حياتها لتعطيه كل وقتها وتعتبره رسالة مقدسة يجب ان تصل الى الناس ولذلك لم تبتذل فنها يوما وكانت حريصة في كل عمل تقدمه على ان يكون راقيا ويحمل رسالة ومضونا وهدفا.. وعندما نقدم هذه المتابعة لا نستطيع ان نتعرض لحياتها بالتفصيل او نقف عند محطات كثيرة فيها لنناقش او نحلل لكننا سنقترب منها من خلال ارائها ومواقفها في الفن والحياة معا.

المسيرة الفنية

ولدت سميحة ايوب في 8 مارس 1932 في احد احياء القاهرة الاكثر ازدحاما والذي يطلقون عليه في مصر الصين الشعبية لكثرة سكانه، انه حي شبرا ذلك الحي الذي يموج بالحركة ليلا ونهارا لترى من خلاله نماذج بشرية متباينة.. تلقت تعليمها في المرحلة الاولى بمدرسة الراهبات.. كانت تتمتع بذاكرة لاقطة تخزن افعال البشر وترصد تصرفاتهم حتى اصبحت قادرة على تقليدهم وادركت انها تتمتع بموهبة طيبة لكنها لا تعرف الطريقة لاستغلالها وابرازها حتى جاءت فرصة للغناء في احد البرامج الاذاعية فعرفها الجمهور من خلال غنائها في برنامج «عذراء الربيع» واعتقدت انها اصبحت مطربة فتقدمت الى لجنة الاختيار للعمل في اوبريت العشرة الطيبة – امام الموسيقار الراحل محمد عبدالوهاب الذي نظر اليها وقال هذه البنت المفعوصة لا تصلح ليس فيها اي شيء يمكن ان يحبه بطل الرواية وشعرت ان احلامها كمطربة تبخرت.. وخرجت من الاختبار بخفي حنين. وتضحك سميحة ايوب على هذه الواقعة التي كانت ترويها لمحمد عبدالوهاب بعد ذلك تذكره بها فيقول لها لو اصبحت مطربة لخسرنا جميعا عملاقة المسرح.

مرت الايام حتى جاء عام 1946 وهو العام الذي قررت فيه الالتحاق بمعهد الفنون المسرحية لاشباع هوايتها التمثيلية التي اصبحت تملأ عليها كل حياتها ولم يعد هناك بد من الاتجاه لهذا الطريق الذي ارتضته لنفسها. وداخل اروقة المعهد التقت بعملاق المسرح واحد رواده الكبار ليس في مصر وحدها بل في العالم العربي وهو الراحل زكي طليمات الذي اسند لها بطولة مسرحية البخيل لموليير بعدما اقتنع بموهبتها واثنى على قدراتها التمثيلية وكانت تشاركها البطولة في هذا العمل سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة.. وقدما المسرحية امام الملك فاروق بدار الاوبرا.. وعندما سمعت دوي التصفيق ونظرات الاعجاب وعبارات الثناء حدث نوع من العشق لخشبة هذا المسرح وادركت انه طريقها ومستقبلها.. وفي اثناء الدراسة حدث ان تزوجت ودخلت القفص الذهبي فانقطعت عن الدراسة لمدة عامين لكنها سرعان ما انهت دراستها عام 1952 ليضمها زكي طليمات الى فرقة المسرح الحديث ويسند لها ادوار كاتوس في المتحذلقات لموليير وبلينا في مريضة الوهم والملكة آن في مسرحية خادمة الملكة وأنيسة في الشيخ متلوف لموليير وتمصير محمد عثمان جلال.. وانطلقت سميحة ايوب واصبح يشار لها بالبنان منذ ذلك التاريخ ولم يتوقف عطاؤها حيث شهدت فترة الخمسينيات مجموعة كبيرة من الاعمال المتميزة وتألقت في عروض المسرح الحديث والفرقة المصرية الحديثة والمسرح القومي، نذكر من هذه الاعمال على سبيل المثال لا الحصر، البخيل، ست البنات، كسبنا البريمو، كذب في كذب، بنت الجيران، اعظم المرأة، محكمة النساء، نزاهة الحكم، نفوسة، راسبوتين، الايدي الناعمة، دور ايزيس في مسرحية ايزيس، نفرتيتي في سقوط فرعون، مبروكة في الصفقة، جراتسيا في الموت يأخذ اجازة، جوديت في تلميذ الشيطان، المومس في المومس الفاضلة.

وفي الستينيات ايضا ادت كذلك مجموعة من الادوار المهمة والمتميزة في عدد من المسرحيات ازدهر بها المسرح في تلك الحقبة، نذكر ايضا بعضها على سبيل المثال فهي الغانية المثقفة المحبة للفنون في السلطان الحائر، وسلمى الغجرية في السبنسة، وخضرة الفلاحة رمز مصر في كوبري الناموس، والممثلة سوسو في سكة السلامة، وانتيجون ابنة اوديب في انتيغونا، وسلوى في خيال الظل وجليلة بنت مرة في الزير سالم، والكترا في الندم، ثم تؤدي شخصيتين متناقضتين في الانسان الطيب لبريخت، وغروشا في دائرة الطباشير القوقازية والمرأة صوت العدالة، وضمير الشعب في يا سلام سلم الحيطة بتتكلم. ومع السبعينيات قدمت شامينا في حبيبتي شامينا، ودور نعمت في العمر لحظة ودور فيدرا في فيدرا، وكليوباترا في قيصر كليوباترا وست الملك في ستك الملك، ورابعة الغانية المتصوفة في رابعة العدوية.

وتأتي حقبة الثمانينيات لتقدم مسرحيتين شعريتين من اهم ما قدم على خشبة المسرح الشعري المصري وهما الوزير العاشق التي كتبها الشاعر المتميز فاروق جويدة حيث قامت بدور الولادة بنت المستكفي ثم دور صفية في دماء على ستارة الكعبة لفاروق جويدة ايضا.

ويتجه المسرح الى الاستهلاك وتصبح العروض مبتذلة واقرب الى الكباريه منها الى المسرح ولذلك نجد اعمالها خلال هذه الفترة اصبحت تعد على اصابع اليد الواحدة لانها ترفض مسارح هز الوسط والاستعراضات غير الموظفة والتي تأتي كمجرد حشو لابهار الجمهور بأجساد الراقصات ففضلت ان تجلس في بيتها او تمارس

القصبجي وأم كلثوم وعبدالناصر

اعمالا ادارية او اذاعية او تلفزيونية ولم يكن هذا سهلا على عاشقة المسرح بعد ان عاشت اجمل سنوات عمرها تتألق على خشبته لكنها لا يمكن ان تقدم على عمل مبتذل او خال من الرسالة والمضمون والهدف، ولذلك نجد انها لم تقدم في فترة التسعينيات الا عملين او ثلاثة فقط حيث قدمت دور صديقة الخديوي اسماعيل وضاربة الودع في الخديوي عام 1993 وشاركها البطولة الفنان القدير محمود ياسين ثم قدمت مسرحية الساحرة التي كتبها يسري الجندي عام 1995. ومع نهاية التسعينيات ظهرت فكرة اعادة بعض الاعمال المسرحية التي نجحت في الستينيات وكانت من اسباب ازدهار المسرح في هذه الفترة وذلك من خلال مسرح التلفزيون ورأت سميحة ايوب ان عودة مسرح التلفزيون ظاهرة صحية لانه يهتم بالكيف والنوعية ويقف في وجه مسرح القطاع الخاص الذي خرج عن دوره واتجه الى الرقص والنكت البذيئة وخروج عن النص.. كما رأت ان اي زائر لاي دولة يريد ان يعرف هوية البلد لابد ان يذهب لمسرحه لان المسرح يعكس ثقافة الدولة وحضارتها ولكن للاسف الشديد عندما يدخل اي زائر للمسرح المصري سيجد تسطيحا وتفاهة وابتذالا فهل هذا هو وجه مصر؟ ولذلك اقدمت سميحة ايوب بكل حماس على فكرة عودة مسرح التلفزيون ورأت انها فرصة للفنانين الذين يحبون بلدهم ويعطون صورة طيبة عنه لان الفنانين قسمان فنان واع ومحب لبلده ويعي كل ما يحدث من فن وابداع وفنان مبسوط لان صوره واخباره تنشر في الجرائد ويستطيع ان يكسب من دون ان يفكر بعمق في وظيفة الفن الحضارية والثقافية والاجتماعية والفنية والفكرية.

وتقول الفنانة القديرة سميحة ايوب: عندما بدأ مشروع مسرح التلفزيون عام 1998 قامت الدنيا ولم تقعد وقالوا هل نحن عبيد للستينيات ولكن مسرحية كوبري الناموس اخرجت من جديد واعجب الناس بها وكتب عنها نقاد كبار لهم قيمتهم وانا اعتقد ان الفرق الوحيد بين مسرحي الستينيات انه كان يقدم عملا فكريا نظيفا ومسليا والضحك فيه ليس على رجل يلبس باروكة ويعمل نفسه «ست» وانما تضحك على كوميديا الموقف وعلى مشهد مكتوب بشكل جيد وعلى ممثل يجيد العملية الفنية وبالعكس انا ارى اننا كسبنا من الستينيات رصانتها وفكرها وحركتها الادبية.

وحول الفرق بين كوبري الناموس في الستينيات وكوبري الناموس في التسعينيات تقول سميحة ايوب، النص كامل كما كتبه سعد الدين وهبة فالمخرج سعد اردش لم يغير فيه شيئا ولكن الفرق في تغيير بعض الممثلين ولكن الروح والطعم كما هو لان التاريخ يعيد نفسه فالمسرحية تتكلم عن الكوبري وطبعا الكوبري للعبور بمعنى ان نعبر كل آلامنا او كل الاشياء الرديئة التي تصادفنا في حياتنا سواء كان هذا العابر فنانا او لصا او طالبا او مثقفا فالكوبري أنشئ لكي يعبره الناس وليس لكي يجلسوا عليه.

يجب الا تقف محلك سر وقضية الارهاب والعنف اصبحت حديث العالم كله الان. المسرحية تتكلم عنها ولذلك فالمسرحية ليس لها زمن ثابت فالاحداث نفسها موجودة.

مواقف وآراء المسرح الشعري في حياتها

الجملة الشعرية جملة غنية تحتمل عدة معان وهي جملة فيها عظمة وكبرياء مع بساطتها الشديدة، هذا هو رأي سميحة ايوب التي تقول انا احزن احيانا وانا امثل لان الجملة تنتهي فالى هذا الحد تكون الجملة جميلة ويكون حبي لها شديدا.. الشعر بالنسبة لي حالة وجدانية شديدة العمق وحالة عاطفية شديدة العاطفة وانا احفظ تقريبا كل الاشعار التي تعجبني وازعم انه لو كانت لدي ملكة كتابة الشعر لاصبحت شاعرة ذات شأن كبير، اما عن الفصحى فانا احبها جدا واتذكر ان الشيخ الباقوري –رحمه الله – قال ذات مرة احب ان استمع للغة العربية من سميحة ايوب لانها تقولها صحيحة وبلا معاناة.. تقولها كما نتحدث نحن العامية. وتستطرد سميحة ايوب معبرة عن اعجابها باثنين من اهم الشعراء الذين كتبوا للمسرح الشعري وهما فاروق جويدة وعبدالرحمن الشرقاوي، وتقول اعتقد انني كنت في تصورهما عند كتابة نصوصهما الشعرية ومن الضروري ان يشعر الكاتب بالامن والامان تجاه من يوصل كلمته الى الناس لان كل شاعر يحب كلمته وجمله وحين يعرف ان قائلها موصل جيد يتدفق عطاؤه وانا لا انسى انه كان لي مونولوج في مسرحية الفتى مهران لعبدالرحمن الشرقاوي، كنت كلما اقول هذا المونولوج يقول لي الجمهور «تاني» اعد كمان وهذا لم يحدث اطلاقا في التمثيل وانما يحدث هذا عادة في الغناء فالى اي حد كان هذا المونولوج جميلا كانت سلمى تحدث فيه مهران وتقول له:

ودموعي في الليالي السود لم تعرف دموعي
انا ما ملت لانسان سواك
انا لم اغفر طوال العمر
للزوجات ان يعشقن.. لكنني عشقتك
انني اشعر انني ما عرفت الحب قبلك
انا ما احببت غيرك وسأقضي العمر لا أعشق غيرك
كيف يا ويحي هذا كله خبئ لي.
آه يا ويحي ويا ويحك: الى اخر هذا المونولوج.

وحول الدور الذي تعتبره نقلة حقيقية وعلامة في حياتها تقول: كان دوري في مسرحية لسارتر اسمها المومس الفاضلة هذه المسرحية قلبت عندي كل الموازين الفنية لانني عندما قرأت هذه المسرحية اصابني القرف منها ومن الالفاظ التي تحتويها كنت اقرأها بعقلية انطباعية ولم افتش في اغوار المسرحية وكنت اتساءل هل هناك ممثلة يمكن ان تقبل هذا الدور؟ ووجدت حمدي غيث يوزع الدور علي وحين قدمته بالفعل وجدت به مادة ممتعة، ووجدت ان الادوار المركبة والكاركتر ادوار هائلة بعكس ادوار السندريلات فهي تافهة يمكن ان يقوم بها اي شخص، اما الادوار الصعبة فلا يمكن ان يؤديها الا ممثل متمكن وبعد هذه المسرحية بدأت ابحث عن كل دور صعب ومركب واكتشفت طاقاتي ووجدت من حولي يحتضنون هذه الطاقات.

وعن التجربة الفنية التي ندمت عليها، تقول: مسرحية اسمها سيما اونطة للراحل نعمان عاشور وكان احمد حمروش مدير المسرح وقتها ولم اكن احب هذا الدور اطلاقا لان تقديمي لهذه الشخصية لن يقدم الكوميديا المطلوبة لان الدور كان يحتاج الى ممثلة اكبر مني سنا حتى تحدث كوميديا وقمت بهذا الدور تحت ضغط وكنت ابكي كل ليلة قبل ان اصعد على خشبة المسرح حتى قدمت استقالتي فاستعانوا بممثلة اخرى. وبالنسبة للكوميديا تقول سميحة ايوب: قدمت اللون الكوميدي على الرغم من ان البعض قد يتصور ان ملامحي لا يناسبها هذا اللون فقد قدمت على خشبة المسرح مسرحية كوميدية اسمها مقالب عطيات وحققت هذه المسرحية نجاحا منقطع النظير ايضا، قدمت للشاشة الصغيرة مسلسلا كوميديا كان اسمه مطبات زكية هانم، وانا لست ضد اداء اللون الكوميدي ولكن قد يكون غياب النص الكوميدي هو سبب عدم تقديمي مرة اخرى للكوميديا واذا عرض علي عمل كوميدي جيد فسوف اقدمه.

السينما في حياتها

لم تكن السينما في يوم من الايام من بين احلامها او طموحاتها بل وتعترف بانها لم تحبها فقد كان المسرح يستحوذ على كل وقتها واهتماماتها وان كانت ثمة فترات لم تقدم خلالها اعمالا مسرحية، فقد كانت تتجه الى الاذاعة والتلفزيون وهي ترى انها لم تقدم في السينما دورا تستطيع ان تقول انها تعتز به بل كانت ادوارها لمجرد الوجود والانتشار فقط حتى عندما عرضت عليها اسيا بطولة مطلقة في فيلم من انتاجها اعتذرت لها على الرغم من ان الاجر كان مغريا، حدث هذا في الوقت الذي كانت تعرض فيها مسرحيتها الانسان الطيب وجاء رفضها على الرغم من الفارق الكبير بين اجرها في المسرحية واجرها في الفيلم لان المسرح كان حالة عشق وليس مجرد اكل عيش.

وعلى الرغم من هذا قدمت الفنانة القديرة سميحة ايوب حوالي 16 فيلما سينمائيا، بدأت عام 1947 بفيلم المتشردة ثم شاطئ الغرام مع حسين صدقي وليلى مراد وتحية كاريوكا وهو من اشهر افلامها، وفي عام 1951 قدمت ورد الغرام مع محمد فوزي وليلى مراد ايضا، ثم الدم يحن عام 1952 وفي عام 1953 قدمت ثلاثة افلام هي ابن الحارة والوحش، كدت اهدم بيتي وفي 1955 قدمت الخائبة، وفي 1956 هارب من الحب واغلى من عينيه، وفي 1958 محرم في اجازة، بنت البادية، وفي 1959 بين الاطلال وعودة الحياة والمبروك. وفي 1960 جسر الخالدين، العملاق 1961 لا تطفئ الشمس 1962، امرأة في دوامة، يوم الحساب، 1963 المتمردة، 1964 سجين الليل، 1966 امرأتان ورجل، 1968 ارض النفاق، وكان اخر افلامها عام 1971 فجر الاسلام مع محمود مرسي ويحيى شاهين ومحمود فرج ونجوى ابراهيم وهو من الافلام الدينية وهو ايضا من اشهر افلامها، وبعد ذلك اعتزلت سميحة ايوب العمل السينمائي او لم تجد ما يناسبها في السينما ففضلت ان تكون موجودة في الاذاعة والتلفزيون.

في الإذاعة والتلفزيون

تألقت سميحة ايوب في الاعمال الاذاعية والتلفزيونية وتعد واحدة من كبار فناني الاذاعة والتلفزيون حيث قامت ببطولة عشرات المسلسلات منها خيال المآتة، الطريق، الضحية، مغامرات زكية، المشربية، عصر الحب، المحروسة، ولسه بحلم بيوم، طيور بلا اجنحة، الكتابة على لحم يحترق، لحظة اختيار، الضوء الشارد، وغير ذلك من المسلسلات التي ادت فيها ادوارا كثيرة متنوعة فهي الفلاحة والصعيدية وسيدة الاعمال وربة بيت.

الأعمال الإدارية والجوائز

اسند اليها منصب مديرة المسرح الحديث من 73 – 1975 ثم المسرح القومي من 75 – 1988 فيما عدا اعوام 1977، 1984، 1985.

نالت العديد من الجوائز وشهادات التقدير والأوسمة من مصر والمهرجانات العربية حيث حصلت على وسام الجمهورية من الطبقة الثانية.

وسام الاستحقاق من الطبقة الاولى عام 1975 من سورية.

وسام جوقة الشرق من درجة ضابط 1977 من فرنسا.

تم تكريمها على مستوى العالم العربي في مهرجان قرطاج المسرحي عام 1984.

كرمت في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي عام 1994.

الحياة الاجتماعية

تزوجت سميحة ايوب من الفنان الراحل محسن سرحان ثم تزوجت الفنان الكبير محمود مرسي ثم الكاتب الكبير الراحل سعد الدين وهبة وتقول عن بداية علاقتها بسعد وهبة: في اثناء بروفات مسرحية السبنسة تعرفت عليه وكان دوري في المسرحية صغيرا لكن سعد الدين وهبة كان يريد ان اشارك فيها وبرغم تحذير الجميع بانني سوف ارفض بسبب صغر مساحة الدور الا انه عرض علي العمل وطلب مني ان اقرأ النص اولا قبل ابداء رأيي وعندما قرأته وجدته نصا جيدا ومفيدا فوافقت، وفي اثناء البروفات توطدت علاقتنا وانتهت بالزواج وعلى الرغم من انه كاتب متميز ومعروف فإنه لم يكتب لي عملا واحدا وانا لم اطلب منه ذلك.. كان سعد الدين وهبة رحمه الله يحمل صفات كثيرة وطيبة وكنا صديقين قبل ان نكون زوجين ولهذا آلمني رحيله كثيرا. وبالنسبة للأولاد، ابنها الاكبر محمود يعيش في الولايات المتحدة الاميركية وقد استقر بها، اما ابنها الاصغر علاء محمود مرسي المعالج النفسي فقد كان يعيش في اميركا ايضا ويرفض العودة لكنها سافرت اليه واجبرته على العودة معها بعد وفاة سعد لاحساسها الشديد بالوحدة وعلاء بدأ يمثل وشخصيته لها كاريزما خاصة ويتوقع له النجاح خاصة بعد دخول الكثير من الوجوه الجديدة المجال الفني وتحقيق النجاح بسبب اقبال الشباب على اعمالهم الفنية.

علاقتها مع الفنان حمد الرجيب

الراحل حمد عيسى الرجيب اشار في كتابه «مسافر في شرايين الوطن» تحت عنوان «كيف ذهبنا للقاهرة»: كان معي من طلبة المعهد سميحة ايوب وفاتن حمامة وملك الجمل ونعيمة وصفي وفريد شوقي وعبدالمنعم ابراهيم وعبدالمنعم مدبولي وشكري سرحان وأخوه – رحمه الله – صلاح سرحان، وزكريا سليمان وابراهيم الشامي وعدلي كاسب وعلي الزرقاني وعمر الحريري». وبعد وفاة الفنان حمد الرجيب كتبت سميحة ايوب كلمة رائعة نشرتها في مجلة «العربي» العدد 479 ومما جاء في كلمتها «تشاء المصادفات الطيبة ان التقيه اول مرة في ذلك الزمن الطيب، ايام مرحلة الشباب الاولى، والاحلام البكر التي كنا من خلالها نحلم بتقديم ما يدهش، واكتشاف الجديد في الفنون: المسرح والموسيقى». التقيته في المعهد العالي ربما كأول طالب عربي جاءنا من منطقة الخليج ينتبه الى دور الفنون وتأثيرها في تكوين وعي الناس. ثم تقول: عندما اقتربت منه اكثر اكتشفت انه يحمل روحا مهذبة، محبة وطموحة، يحاول بها دراسة الفنون بكل اشكالها المتعددة وزرع هذه الفنون داخل ارض وطنه، المسرح،الموسيقى والادب. وعلى ضوء ذلك اكتشفنا جميعا نحن تلاميذ ذلك الزمان كم كان حمد الرجيب يتمتع بمواهب متعددة.

ومما ذكرته في المقال:

تخرجنا واختلفت السبل، وتوزعت الطرق، كل منا يسعى الى تأكيد وجوده في الحياة، باحثا لنفسه عن دور يؤديه على مسرح الحياة الكبير.

سميحة أيوب تتوسط نبيلة عبيد ونادية الجندى أثناء تصوير «سكر زيادة»

تألقت سميحة ايوب في الاعمال الاذاعية والتلفزيونية